صوت جديد

في يوم من الأيام كنت كاتبة وفي يوم آخر أصبحت أحمل جنينًا في رحمي، توالت الأيام وأصبحت الكتابة عبئًا، ثم مرت أيام كثيرة حتى ولد طفلي. دفعت صوتي وقلمي ثمنًا للأمومة وكأنني تبرعت بخلايا عقلي لجنيني وحل محلها الضباب. كانت هناك أوقات افتقدت فيها الشهرة وكانت هناك أوقات أخرى اشتقت فيها لدفعة الأدرنالين في دمي مع كل لقاء تليفزيوني وكل مقال جديد. اشتقت إلى تعليقات المتابعات والمتابعين و«خناقات» اختلاف الرأي وصراعات القوى.

كنت أتذكر ما مضى وأبتسم ابتسامة رضًا لأنني حقًّا كنت راضية مرضية بمشاعر الأمومة. كنت مشغولة باستكشاف مناطق جديدة للمتعة ومخابئ جديدة للخوف. كنت أكتب كثيرًا في رأسي وكانت الكلمات تتطاير أمامي كلما حاولت الإمساك بها وسطرها على الورق، أو اللابتوب. الأمهات من حولي، الكاتبات، يكتبن وينشرن ويبدعن وينجحن وأنا عاجزة بلا صوت. استمر الحال حتى أتم «آدم» عامه الثالث وبدأت أكتب لموقع، تم حجبه فيما بعد، عن المونتيسوري، ولموقع يتناول الحب والزواج والجنس والصحة الإنجابية. بدأت أكتب باللغة العربية الفصحى لأول مرة.

في البدايـة كنت أشـعر بغربة ورهبـة مثل تلك التي شـعرتها مع رضيعـي بعد ميلاده، ومثل تلك التي أشـعر بها تجاه جسـدي حتى اليوم. كنت أشـعر أنني امرأة مسنة وأن اللغة العربية هي مفاصلي المتيبسة وعظامي الهشة. بدأت أكتب وأذكر نفسي بمقولة جدتي لأمي: «لأ لأ الضبـة تفتح». مرت سـنوات عديـدة وأنا أكتـب في رأسي فقـط. أريد أن أكتب عن تفاصيل رحلتي مع «آدم»، عن مشـاعـري وتقلباتها، وعن انتصاراتي الصغيرة وإحباطاتي. أريـد أن أكتـب خطابات، كمـا كنـت أفعل وأنا صغـيرة، تحمل اللـوم والغضب والحـب والاشتياق إلى أصحابها.

مرت السنوات حتى اقتـرب «آدم» من إتـمـام عامـه الثامـن، كذكـر الكنـاري الذي يختبر التصفـير لأول مرة، بـدأت أتـذوق اللغة العربية وأسـتمتع بها. بـدلًا من ترجمة أفكاري من اللغـة الإنجليزيـة، بـدأت أفكـر بالعربـيـة، وبـدأت أعبـر عن نفسي عن طريـق الكتـابـة بها. لأول مرة، بدلًا من شـراء القصص والروايـات الممتعة بالإنجليزيـة، أستمتع بقـراءة قصص وروايـات بالعربية. لا تـزال الإنجليزية هي لغة التعلم المفضلة بالنسبة لي، ولكن اليوم أصبح لي صوت باللغة العربية.

أعتبر هذا الصوت الجديد هدية أخرى من هدايا «آدم» لي!